

ملاحظات حول ما كتبه الأستاذ فايز بن موسى البدراني الحربي عن أخبار القبائل في نجد ١٢٠٠هـ - ١٣٠٠هـ [٣]

تركي بن مطلق العتيبي *

كتب الأستاذ فايز بن موسى الحربي موضوعاً عن "أخبار القبائل في نجد" في (مجلة الدرعية في العديدين الحادي عشر والثاني عشر رجب ١٤٢١هـ) ؛ ولأن البحث كان قيماً ومفيداً عن تاريخ بعض القبائل في نجد ، فقد قرأته قراءة مستفيدة ووجدت فيه ما يستحق التنبيه عليه على النحو التالي :

أولاً : ذكر الباحث تقريراً عربياً مرفوعاً إلى خورشيد باشا في ٣ رجب ١٢٥٥هـ وأغفل أحد النصوص التي جاءت في هذا التقرير وهو ما يتعلق بالشيخ هندي بن حميد، وهذا هو النص الذي لم يرد ضمن ما نشره الأخ فايز من ذلك التقرير : " .. ونحن قد الزمننا على الشيخ هندي يرد النقا على حشر وأبو عمر وقد ردوا عليه النقا وحشروهم حتى أرسل أبو عمر وحشر يطلبون الأمان .. " - وهذا ما ورد في التقرير بنصه - .
ولا أدري ما الذي حمل الأستاذ فايز على إغفال الكلام المتقدم ذكره رغم أهمية ما جاء فيه من إشارة إلى حادثة تاريخية لها أهميتها ودلالاتها التاريخية ؟ ! .

* باحث في تاريخ قبائل شبه الجزيرة العربية .

- له العديد من المؤلفات في بطون قبيلة عتيبة وشعرائها .

ثانياً : ذكر الباحث خبر وقعة بين عتيبة وقحطان سنة ١٢٦٣هـ وقال عنها : "لقد كنت متردداً في إبراد هذا الخبر الذي أورده الراوي محمد العلي العبيد في مرويته المسجلة بصوته لأن الراوي متأخر عن الحدث بحوالي مائة سنة ولم تذكره المصادر المعاصرة له ..!"
أقول : إن العبيد ليس متأخراً عن الحدث بحوالي مائة سنة كما يزعم الأستاذ فايز لأنه يبدو أنه يحسب السنين من تاريخ وفاة العبيد وذلك لأن الأستاذ فايز يعلم أن المؤرخ العبيد ولد في عام ١٣٠٣هـ تقريباً وبهذا لا يكون متأخراً عن الحدث كما يظن ، والذي ذكره العبيد صحيح ولا يتطرق الشك إليه لأسباب من أهمها : أن هذه الوقعة أيضاً أوردها العبيد في كتابه (النجم اللامع للنوادر جامع ص ٣١٣) الذي فرغ من تأليفه عام ١٣٧٧هـ وهي وقعة معروفة يعرفها رواة عتيبة ورواة قحطان ، وقد قابلت رجالاً من عتيبة بلغوا من العمر مئة سنة وأكثر ولم يلتقوا بالعبيد وروايتهم مطابقة لما جاء في كتابه المذكور وهي وقعة (معتق) كما يسميها رواة القبيلتين ، والموضع الذي دارت فيه المعركة معروف سمي بذلك من تلك الوقعة وهو قول الشيخ مسلط بن ربيعان من وصل هذا الصمد فهو معتق أي لا يؤسر ولا يؤخذ ، وهناك شيء أريد أن ألفت نظر أخي القارئ الكريم إليه وهو أن الأستاذ فايز الحربي يسمي هنا المؤرخ العبيد بـ (الراوي) لاستناده على الشريط المسجل بصوته وفي غير هذا المكان يسميه بـ (المؤرخ) ؟ لاستناده على كتابه المشار إليه ولو سأل الباحث رواة قحطان ورواة عتيبة الثقات لأخبروه عنها .

والقصيدة التي قالها القحطاني صحيحة وليست مصنوعة مثلما ذكر ، فقد دونها العبيد أيضاً في كتابه (النجم اللامع ص ٣١٣) كذلك أشار إليه منديل الفهيد في كتابه (من آدابنا الشعبية طبعة ، ١٤٠٣هـ / ٣ / ١٥٨) وذكر اسم قائلها وهو مهدي ابن فتنان القحطاني ويفهم من القصيدة أنه كان مشاركاً مع ابن هادي في تلك الوقعة وهي قصيدة مستقيمة الوزن واضحة المعنى ولا أراها ركيكة كما قال ومعروف أن القبائل يشهد بعضها

لبعض وكما قيل الفضل ما شهدت به الأعداء ، ومعروف أن العبيد رحمه الله توفي قبل أن يرى كتاب منديل الفهيد بأجزائه المتعددة - النور .

ثالثاً : قال الأستاذ فايز : " .. الراوي متأخر عن الحدث بحوالي مائة سنة ولم تذكره المصادر المعاصرة له ؟ " .

أقول رداً على هذا الكلام : أما مسألة البحث عن كل أخبار القبائل في مصادر مدونة فيعرف الأستاذ فايز أن هذا الأمر متعذر ويصعب تحقيقه ، فالمؤرخون دونوا بعض الأخبار وأغفلوا البعض الآخر ، فإغفالهم لبعض الأخبار لا يصلح أن يكون مسوغاً لطرح وتجاهل أخبار مشهورة ومتداولة لم يأت لها ذكر في المصادر التاريخية .

ويحسن هنا أن أذكر أنني قرأت كتاباً للأستاذ فايز اهدانيه مشكوراً وهو "من أخبار القبائل في نجد" حيث ورد فيه قوله : "قد يكون إهمال تدوين أخبار القبائل مُتعمداً عند بعض المؤرخين لاقتناعهم بعدم أهمية تسجيل تلك الحوادث ، ومن أمثلة أولئك الشيخ مقبل الذكير الذي أكثر في تاريخه من عبارة : "وفي تلك السنة لم يحدث شيء سوى حوادث البادية المعتادة" أو ما شابهها ، ثم لا يذكر شيئاً عن تلك الحوادث باستثناء الوقائع الهامة جداً"^(١) .

قلت : وهذا دليل واضح على عدم اهتمام مؤرخي نجد وغيرهم بأخبار القبائل ووقائعها وإلا كانوا أفردوا لها أسفاراً من الكتب .

قال الأستاذ فايز : " .. إن من أسباب ذلك تأخر المصدر عن زمن الحدث بفترة طويلة " وأضاف قائلاً : " .. وإن راوي الخبر للعبيد من الطرف المنتصر كما يبدو .. إلخ " . وقال أيضاً : " .. نسبة القصيدة التي كلها مدح المنتصر للطرف المنكسر .. " .

وأقول رداً على هذا الكلام : أمّا قوله إن تأخر المصدر عن زمن الحدث يجعل وقوع هذا الحدث احتمالاً ضعيفاً ؟

(١) "من أخبار القبائل في نجد" فايز بن موسى البدراني الحربي - ط ٢ ، ١٤١٦ هـ / ١١ / ١ .

أقول إن العبيد ليس متأخراً مثل ما يقول ، فالمعروف إن العبيد كان مطوعاً لدى الشيخ الكريم هذال بن فهيد الشيباني في حدود عام ١٣٢٠هـ وعليه فليس من المستبعد أن يكون العبيد رحمه الله قد نقل كلامه من رجال شاركوا في الحادثة المذكورة .

وقد قرأت كتاباً آخر للأستاذ فايز الحربي وهو "فصول من تاريخ قبيلة حرب" أورد فيه وقعات لها أكثر من ١٥٠ سنة بين قبيلتي حرب وشمر وغيرها نقلاً عن رواية قبيلة حرب المعاصرين ونحن لا ننكر تلك الوقعات ؛ لأننا نعلم أن العرب ولله الحمد بعيدين عن الكذب لكننا نقول إن الوقائع التي ذكرها لم يذكرها مصدر واحد !! أضف إلى ذلك أنه لم ينقلها لنا إلا من طرف واحد وهم رواية حرب المنتصرين ! وهل لو سئل رواية قبيلة شمر هل ستكون الرواية نفسها !!

ومن تلك الوقائع :

- ١ - وقعة الهميلية بين ابن رشيد والفردة من حرب سنة ١٢٧٣هـ أرخها عن رواية معاصرين من قبيلة حرب بدون ذكر مصدر ؟^(١) .
 - ٢ - وقعة بين شمر وحرب سنة ١٢٧٥هـ تقريباً ، أرخها والمصدر الوحيد الذي ذكره (رواية درع بن سالم وغيره) ؟^(٢) .
 - ٣ - وقعة حرب وعنزة سنة ١٢٨٠هـ تقريباً وأخرى بين حرب وعنزة سنة ١٢٨٠هـ^(٣) وكلها كما مر معنا مصادرها الرواة فلماذا هذا التناقض ؟
- رابعا : ذكر الأستاذ فايز معركة بين عتيبة وقحطان سنة ١٢٦٩هـ .
- قال عنها : "وأشار إلى هذا الخبر محمد بن بليهد فقال وهو يتحدث عن وادي الرشا : وفي هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين في سنة ١٢٦٩هـ بين عتيبة

(١) "فصول من تاريخ قبيلة حرب" - ط ٢ ، ١٤٢١هـ / ١ / ٥٢٣ .

(٢) مصدر سابق ١ / ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٣) مصدر سابق ١ / ٥٣٣ .

وقحطان . رئيس عتيبة تركي بن حميد وبعضه من رؤساء عتيبة رؤساء الروقة^(١) وغيرهم ورئيس قحطان محمد بن هادي بن قرملة فكانت الهزيمة على قحطان وانتصر العتبان . ونقل عنه الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري لكنه أشار إلى أن الواقعة كانت بوادي الشعراء .

وسجل الأستاذ فايز ملاحظته على هذا الخبر قائلاً : "إن ابن بليهد متأخر عنه ولم تشر له المصادر المعاصرة له مما يعني أن المؤلف نقله عن رواية متأخرين ، ولا شك أنهم من الطرف المنتصر" وقال أيضاً : " .. والأغرب من ذلك أن العبيد أورد خبر وقعة مسلط بن ربيعة مع محمد بن هادي بن قرملة سنة ١٢٦٣هـ كما مر معنا ولم يورد هذا الخبر .. إلخ".

كما وصفها بأنها انتصارات في الخيال العامي !

لذا أقول : إن الأستاذ فايز بتر نص المؤرخ ابن بليهد لأن ابن بليهد يقول بعد أن ذكر الواقعة ونتيجتها : "وفي ذلك الموضع سناف يسمى اليوم "سناف الطراد" لعظم تطارد الخيل منه ولم يُسمَّ بهذا الاسم إلا بعد تلك المعركة ، ويصب في ذلك الوادي وادي دلعة البلدة المعروفة .."^(٢) والمؤرخ ابن بليهد رحمه الله ليس متأخراً عنها كما يقول ؛ لأنه التقى بنايف بن هذال بن بصيص شيخ الصعران من قبيلة مظير عام ١٣١٧هـ كما ذكر ذلك في كتابه^(٣) وتكون هذه الواقعة قبله بـ ٤٨ سنة وذكر ابن بليهد في موضع آخر من كتابه أنه نقل بعض أخبار المعارك عن والده الذي قال عنه : " .. وكل المعارك الثلاث المذكورة أعرفها ، وهي معلومة في نجد وأما الذي في القرن الثالث عشر بين ابن هادي وابن حميد فحدثني عنه والذي عبدالله بن بليهد ، ولأنه عمّر واستكمل من السنين مائة سنة وست سنين منها ١٠٣ لم يتغير من فكره شيء ، ولا من حديثه ، وثلاث سنين لا يدري عن شيء

(١) الذي قاله ابن بليهد : " .. رؤساء من الروقة وغيرهم .. " .

(٢) "صحيح الأخبار" لابن بليهد ١٤٦/١ .

(٣) "صحيح الأخبار" للمؤرخ محمد ابن بليهد - ط ٣ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ١٢٣/٢ .

حتى انتقل إلى رحمة الله" (١) .

وعلى العموم هو وقت ليس بالبعيد وهو مؤرخ ثقة لا ينقل إلا عن رواة ثقات ،
وهناك قصيدة طويلة للشاعر مشيلح بن رويح الشيباني تذكر خبر هذه الوقعة ووادي دلعة
نقتطف منها (٢) :

بديت ذكر الله على أول كلامي
على المقام وهجعتي في المنامي
الروح لابهة محل ... الاثامي
وما تفعله بالله تكافي سبايه
حتى قوله :

طاري طرى في خاطري كل طاري
هواجيس عنها الاش ما هو بداري
ذكرت لي يوم جرى منه .. جاري
ادرك احد واحد نجا من كرايه
لا يا نهار جا ... علينا ومنا
نوه غطى روس الاقا ذيل عنا
واحد ادرك في غيبته ما قنى
يشق للقلب المفقه رعايه
خيّل خياله يم خشم ذهلاتي (٣)
من دون (دلعه) فرع قصر الاداني

(١) مصدر سابق ١٤٩/١ .

(٢) "شعراء عتيبة" لمحمد بن دجيل العصيمي - طبعة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ٢/ ٦٧٨ .

(٣) ذهلان: جبل معروف بعلية نجد وهنا تأكيد لكلام الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري أن مكان الوقعة كان بوادي الشعراء .

روق ورقرق حول ... ذاك المكاني

ورنت رعوته في ستايم سحابيه

برقه سيوف الهند ورعوته الروم

وثعله غلب عود من العج مقتوم

وسيله حمر .. دم وربانه لحوم

وبراده قطع محبب من حبابيه

... إلخ

وقال فيها أيضاً الشاعر سهاج بن غلاب بن ربيعان من قصيدة :

وعلى دلعه تليم لي هل الشرق وهل الشمال^(١)

وطردنا مسرح امه لين عقب روس الاقذالي

أضف إلى ذلك أن بين عتيبة وقحطان في نجد عدد من الوقائع ولا ينفيها أبداً عدم تدوينها ، فإنها لا تزال محفوظة عند رواة كل من القبيلتين وربما القبائل الأخرى وسأذكر على سبيل المثال واحدة منها وهي وقعة القرنة بين قحطان وعتيبة التي يقول فيها الشيخ تركي بن حميد مخاطباً الشيخ جمل بن لبدة :

يا واصلين جمل لا يركب المشوره

يذكر ليوم القرنه يوم تحوم طيوره

فأجابه جمل بن لبده :

تركي .. خيال طيب ويدورني ... وادوره

يمهل علينا واركب فوق الصفرا المذكوره

.. إلخ^(٢)

(١) لعل المقصود بأهل الشمال قبيلة حرب ؛ لأنه من المعروف أن حرب دخلت مع قبيلتي مطير وقحطان في كل من مناخ عرجا والحرملة ، وغيرها .

(٢) "حذاء الخيل" أحمد فهد العريفي طبعة ١٤٠٩ هـ ، ص ١١٢ .

وقول الشاعر الفارس ضيف الله بن حميد (العفار) من قصيدة معروفة ^(١) :

لما نزلنا نجد من غير معلوم
بصولات تلقا به صفا الجو عايم
يا نجد ما والله نزلناك بسلموم
ولا نت هورث جدودنا والقدايم
يا نجد خذنا فيك حق ومرسوم
وصفا جناحك عقبك نطل العمايم
خذناك عقب مدارك العمر والسوم
سوم يخسر لايسات اللشائم

وليس شرطاً أن يورد العبيد خبر هذه الواقعة ؛ لأنه أورد خبر وقعة (معتق) بين ابن ربيعان وابن هادي ، فإن كتاب العبيد لم يوضع لرصد الوقائع الدائرة بين قبائل العرب آنذاك ، بقدر ما هو كتاب جمع فيه نُبذاً عن أنساب القبائل وفروعها وشيئاً من أيامها من خلال قراءته المتواضعة وصلته بالرواة ، فقد يذكر وقعة وتفوته أخرى .
ومعروف أن ذلك الزمن كان مليئاً بالحروب والمشاحنات والتنافس على الكلاً ونحوه
وإننا لنحمد الله على هذا الاستقرار في ظل هذه الوحدة أدامها الله .
وهناك أيضاً وقائع كثيرة بين قبيلتي عتيبة وحرب منها وقعة العرفجية وهو يوم لضيف الله بن عميرة على الذويبي من حرب والتي تقول فيها العاتي بنت الفارس شليويح العطاي وهي زوجة ابن عميرة المذكور من قصيدة :

والله انه خارف قلبي عشيري
مثل ما تخرف عذوق المقفز

(١) "من آدابنا الشعبية" - ط ٢ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ٩٣/١ .

باعتقاب الخيل بعده ماتغيسري ماش يوم مثل يوم (العرفجية)

... الخ (١)

خامساً : وقعة على دخنة سنة ١٢٧٤هـ

قال الأستاذ فايز : "وقعة على عتيبة على دخنة سنة ١٢٧٤هـ : أشار إلى هذا الخبر الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري بعبارة موجزة ، حيث قال : أغار الإمام فيصل على ابن حميد بدخنة ، وقال فيها تركي قصيدة [قصيدته] :

يا سابقي صكوا علينا القبايل الحضر والبدوان راحوا نحيبة

... الخ

إلا أنه لم يذكر المصدر ، حيث لم يرد لهذا الخبر أية إشارة في المصادر النجدية المتداولة ، ولعل للإشارة الموثقة في الخبر التالي علاقة بهذا الموضوع .. إلخ .
قلت رداً على هذا الكلام : ما أشار إليه الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري صحيح إلا أن الذي أغار أو غزا هو الأمير عبدالله الفيصل وقد ذكره المؤرخ ابن عيسى في حوادث سنة ١٢٧٤هـ فقال : "وفيها غزا عبدالله ابن الإمام فيصل بجنود المسلمين من البادية والحاضرة ، وأخذ ابن حميد والهيضل على دخنة .." (٢) .

سادساً : مناخ المليدا بين حرب وعتيبة سنة ١٢٧٤هـ

ذكر الأستاذ فايز هذا المناخ وأولاه اهتماماً كبيراً ؟! رغم أن كل من دونه قد يكون نقله عن مصدر واحد والمصادر التي ذكرته كلها متأخرة بما فيها (تاريخ بعض الحوادث) لابن عيسى و(تحفة المشتاق) لابن بسام ، ولم يذكره معاصره المؤرخ الفاخري في تاريخه

(١) "شعراء عتيبة" ، ٨٠٢/٢ .

(٢) "عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر" ص ٢٧ .

ولا غيره وهذا يؤكد عدم اهتمام المؤرخين بأحداث القبائل ، ومعروف أن المهتمين بالتاريخ من أهل القصيم ذكروه لقربه من ديارهم ، والذين دونوه هم أيضاً متأخرون هذا إذا أخذنا بمبدئه الذي لا يلتزم به ! .

والأستاذ فايز الحربي أسهب في ذكر هذا المناخ كثيراً عن رواة قبيلة حرب فقط ! أضف إلى ذلك أن المصادر تذكر أن عدد القتلى متقارب مما يعني رجوع بعضهم عن بعض حيث تراجع المشاركون من الروقة من عتيبة لأن عتيبة لم تحضره مجتمعة كما أن الواقعة كانت على ديار قبيلة حرب ، ثم أنه لم يحضره من الروقة حسب رواة قبيلة عتيبة إلا ابن ربيعان وبعض الروقة والمصادر لم تشر إلى أن كل الروقة اشتركوا في هذا المناخ بعكس حرب الذين تكاثروا واجتمعوا دفاعاً عن بلادهم من أن تحتلها هذه العشائر الزاحفة ؛ لأنه من المعروف أن عتيبة أخذت نفى وحليت التي كانت من ديار قبيلة حرب وفي هذه البلاد يقول شاعر حرب :

حناحمينا نفى مع .. حليت وشبيرمه نكورها
لعيون نورة بنت ابن نحيت الي غسانا نورها

ويقول الشاعر محمد بن رباح الصانع الذي كان يُحذّي الخيل لدى قبيلة عتيبة :

يا حرب عشب ديارنا خلوه اللي زمي منها نبا نرعاه
(بني علي) قدامك كبوه كبو نهاته واعذروني ماه
ريع الندامه قدمكم عدوه كل تندم عقب ما عداه

ويقول آخر من قصيدة :

باطير باللي فالخضيرا تحومي عينت حرب اللي جلت عن ديرها

والمؤرخ العبيد لم يذكر أن الشيخ الشيباني والشيخ الهضل اشتركوا في هذه

الوقعة، والشيخ تركي بن حميد أتى للمشاركة (حسب رواية عتيبة) إلا أنه تأخر لأسباب
وحيثما وصل إلى الرس علم بانتهاء الوقعة ، والمشهور لدى رواية عتيبة أنه لم يؤخذ من
حلالهم شيء حتى إنه قيل لي أن البيت الذي أخذته حرب في تلك الوقعة هو بيت أحد
الرباعين وليس بيت للشيخ مسلط بن ربيعان كما ذكر ولكن المبالغة قد لا تخلو منها
أشعار العرب أحياناً وقد نقل لي أحد الباحثين عن الراوي الشاعر محمد بن عبدالله
العسيلي الحربي عن هذه الوقعة قوله : "إن عتيبة لم يؤخذ من حلالها شيء"^(١) ، ولأن
الحرب سجال كما قالوا فإن شاعر حرب عيد بن العويرا يقول في مناخ الرشاوية :

وابيتنا اللي بين عرويل وجفين

يبنيه ناصر في خشوم ذهلاتي

بيت كحيلين مثل صمة التين

عزالله انه من خيار المباني

ويقول الشاعر سعدي المقاطي العتيبي من قصيدة في حروب عتيبة مع بعض القبائل
الأخرى في نجد آنذاك :

اولاد روق محصلين النواميس

غاراتهم وصلت صباح وسميره

اهل مهار سودست بالسواويس

كم طاح في روجاتهم من عشيره

كما ذكر الأستاذ فايز أبياتاً من قصيدة لشاعر من حرب منها هذا البيت القائل :

شاديت للجمعين ساعة تواقفوا

كما .. هديب الشام بالمزار

(١) رواية الأخ الباحث سعدون بن فهد الهرس العتيبي .

وصواب صدر البيت حسب ما نقل لي أحد الباحثين عن الراوي الشاعر محمد بن عبدالله العسيلي الحربي المتقدم ذكره كذا^(١) :

شاديت (للجميلين) ساعة تواقفوا .. إلخ

والجميلين مثني الجمل والمقصود بها (العطفة) أي أن كلاً منهم ساق جملة (عطفته). وذكر الباحث أحد شيوخ قبيلة عتيبة وهو زريبة بن جدي . وأرى الصواب هو زريبة ابن عيد الجذع أي من الجذعان ، كما ذكر بداح العقيلي ، وقال ربما المقصود به ابن عقيل والصواب أن المقصود هو العقيلي من شيوخ العصمة . وأختم تعقيبني هذا بالقول : إن تدوين المؤرخين لبعض الحوادث وإغفالهم للبعض الآخر ليس دليلاً على عدم وجود الأحداث التي لم تدون ، فما أهمله التاريخ حفظه الشعر العامي.

(١) رواية الباحث نفسه .